

كن رحيماً



سلسلة كُن

٧

كُن رحيماً

إعداد
أسامة إبراهيم

إشراف
عاطف عبد الرشيد



بسم الله الرحمن الرحيم

مَا أعْظَمَ أنْ يَتحلَّى المَرءُ بالرَّحْمةِ، وأنْ يَنْأى بنَفْسه عَن القَسْوةِ والشدَّةِ فيِ مُعاملَة أقرانه من بَني البشَرِ، فذَلكَ ممَّا يَغْرِسُ فيِ قلْبِه الرَّحمةَ بِمخْلُوقات الله كافة.

والمُسْلمُ الحَقيقيُ هُوَ الَّذي يَسْلَمُ النَّاسُ منْ لسَانه ويده. ويكْفيه أنَّه إذَا مَا تحلَّى بِخُلُقِ الرحمةِ يكُونُ مُتَشبِّهًا بربِّه الَّذي كَتَبَ عَلَى نَفْسهِ الرحمةِ، فَهُو ـ تَباركتْ أسْمَاؤُهُ ـ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ.

ومتشبِّهًا بالنَّبِيّ ﷺ وصَحَابته. قَالَ تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩]. وقَالَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وَتَتَعَدَّدُ جَوانِبُ الرَّحْمةِ الَّتي يَنْبَغي عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ التحلِّي بها؛ فهو رَحِيمٌ بنَفْسهِ، وبالنَّاسِ، وبالطَّيْرِ والحيَوانِ، وبالجَمَادِ.

فهيَّا بنا نتَعَلَّم سَويًّا كيفَ نكُونُ رُحماءَ مَعَ جَميعِ المخْلُوقاتِ، حتَّى يَعُمنا اللهُ تَعَالَى برحَمتهِ التَّي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ.

كُنْ رَحِيْمًا بنفسِكَ

عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يكُونَ رَحِيمًا بِنَفْسِه، فَلاَ يُعَرِّضُها لعَذَابِ النَّارِ، بأَنْ يَبْتَعِدَ عَنِ الذُّنُوبِ؛ كَبيرِها وصَغيرِهَا، وأَنْ يُسارِعَ إلى التوبَةِ والاسْتِغْفَارِ إذَا مَا دَعَتْهُ نَفْسُهُ الأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ إلى ارْتكابِها.

يَقُولُ رَبُّنا ـ عَزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٥].

وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِذَا هَانَتْ عَلَيْكَ نَفسُكَ، كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَنَ. يقولُ الشَّاعِرُ:

فَنَفْسُكَ أكرِمْها فإنَّها إنْ تَهُـن ... عَلَيكَ فَلَنْ تَلْقَ لَها الدَّهرَ مُكْرِما

وَمِنْ رَحْمَةِ الإنْسانِ بِنَفْسِهِ ألاَّ يُحَمِّلَها مَالاَ تُطِيقُ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَرْعَى حَقَّ بَدَنِه وَنَفْسه عَلَيه. عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ لِبَدَنِكَ عَلَيكَ حَقًّا " [البخاري].

*** وهُنَاكَ عَوَامِلُ تُكثِرُ مِنْ رَحْمَةِ الإنْسَانِ بنفْسِهِ، مِنْهَا :**

١ ـ الإيمانُ بِاللهِ : هُوَ أَولُ خُطْوَةٍ عَلَى طَرِيقِ رَحْمَةِ المرءِ

بِنَفْسِهِ، فَالإِيمانُ بِاللهِ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّارِ ويَجْعَلُكَ مِنْ أَهْلِ الجنَّةِ، وَتِلْكَ أَكْبرُ دَرَجَاتِ رَحْمَةِ المرءِ بِنَفْسِهِ.

وَإِذا وَقَرَ الإِيمانُ بِقَلْبِ المَرءِ، عَاشَ حَيَاتَهُ سَعِيدًا هَانِئًا؛ لأَنَّ هَذَا الإِيمانَ يَجْعَلُهُ قَانِعًا بِمَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ.

٢ ـ **الثِّقَةُ بِأَنَّ الرِّزقَ بِيَدِ اللهِ** : المُسْلِمُ يَرْحَمُ نَفْسَهُ بِعَدَمِ إِجْهَادِهَا فِي الجرْيِ وَرَاءَ الدُّنْيا وَمُغرِيَاتِها، فَالرِّزْقُ بِيَدِ اللهِ، وَهُو مَا عَبَّرَ عَنْهُ الحَدِيْثُ القُدسِيُّ: " إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُم يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يومًا، ثُمَ يكونُ عَلَقةً مِثْلَ ذَلكَ، ثُمَ يكونُ مُضغةً مِثْلَ ذَلكَ، ثُمَ يَبْعَثُ اللهُ إِليهِ المَلَكَ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبعِ كَلِمَاتٍ، فيَقُولُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَأَجلَهُ، ورِزْقَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيد... " [متفق عليه].

٣ ـ **عَدَمُ تَحرِيم مَا أَحلَّهُ الله** : عَلَى الإنسَانِ أَنْ يَتَمتَّعَ بِما أَحَلَّ اللهُ مِنْ طَعَامٍ وشَرَابٍ وتَرْفيهٍ فِي غَيرِ مَعْصِيةِ الله، فَالمَوْلَى ـ عَزَّ وجلَّ ـ يَقُولُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

* * *

ثِمَارُ الرَّحْمَةِ بالنَّفْسِ

١ ـ الحَيَاةُ الطيبةُ : يَتَمَتَّعُ المرْءُ الرَّحِيمُ بنفسِهِ بحياةٍ هَانِئَةٍ طيبةٍ لاَ تَسْتَحْوذُ عليْهِ مَشاكِلُ الحَيَاةِ اليَومِيَّة. قَالَ تعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

٢ ـ الرِّضَا بِالْعَيْشِ : إنَّ كُلَّ رَحِيمٍ بنفسهِ يكُونُ رَاضِيًا بِعَيْشِهِ، قَانِعًا بِما قَسمَهُ اللهُ لَهُ. قالَ ﷺ: " قَدْ أفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاه " [مسلم وأحمد].

٣ ـ ثَوَابُ الجنَّةِ فِي الآخِرَةِ : يَحْظَى مَنْ رَحِمَ نفسَهُ بطاعته للهِ وعمله عَلَى مرضَاته بجنَّاتِ الخُلدِ فِي الآخِرة. يَقُولُ رَبُّ العِزَّة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧ ـ ١٠٨].

وَيَقُولُ أيضًا: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

كُنْ رَحيمًا بالناس

يكْتَملُ إِسْلاَمُ المَـرءِ إِذَا أصـبَحَ رَحِيمًـا بِالنَّـاسِ عَلـى اختلافِ أنْوَاعِهم وطَوائِفهم، ومِنْ ذَلِكَ:

١ ـ **الرَّحَمةُ بِالوَالِدَين** : عَلَى الإنْسَانِ أنْ يَرْحَمَ وَالِدَيْـهِ، فَهُمَا أَوْلَى النَّاسِ برحمَتِهِ، ولَقَدْ حَثَّنَا القُرآنُ عَلَى ذَلِكَ بِقَولـهِ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]. وَعَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: " رَغِمَ أنفُ رَجُلٍ أدركَ عنـدَهُ أبـواهُ الكِبَـرَ فَلَـمْ يُـدْخِلاهُ الجنَّةَ" [الترمذي].

٢ ـ **الرَّحمةُ بالأبْنَاء** : مِنْ رَحْمَةِ المُسْلِم بِأبنائِهِ ألاَّ يُفـرِّقَ بينَ ذُكُورهِمْ وإِناثِهِمْ، وأنْ يُحْسِـنَ تَـربِيَتَهم ورِعَـايَتَهم، وَمِـنْ ذلَكَ قَوْلُ رَسُولِنا الكَرِيمِ: " اتَّقُوا اللهَ واعْـدِلُوا فِـي أَوْلاَدِكُـم " [مسلم]. وَيَقُولُ الشَّاعرُ أحْمَد شَوْقِي فِي مَدْحِ الرَّسُولِ:

وَإِذَا رَحِمْتَ فَأَنْتَ أمٌّ أو أبٌ ... هَذَان فِي الدُّنيا هُمَا الرُّحَماءُ

وَصَدقَ الشاعرُ إِذْ يَقُولُ:

وَلَدِي، وهَلْ شَيءٌ أَعَـزْ ... زُ عَلَـيَّ مِنْـكَ وأكْثَـرُ

وَالكَوْنُ أَنْتَ وَمَا سِـوَا ... كَ زِيَـادَةٌ لاَ تُذْكَـرُ

٣ ـ **الرَّحمةُ بِالصَّغيرِ** : الأَطْفَالُ وَصِغارُ السِّنِّ يَسعَدُونَ بِرَحْمَةِ الكِبَارِ، وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْ خِلاَلِهِم كَيفَ يكونونَ رُحماء عِنْدَما يَكْبُرون. يُروَى أنَّ امْرأةً سُئِلَتَ: أيُّ الأَوْلاَد أحبُّ إلَيكِ؟ فَقَالَت: " الغَائِبُ حَتَى يَرْجِعَ، وَالمَرِيضُ حَتَى يُشْفَى، وَالصَّغيرُ حَتَى يكبُرَ. وَمِن رَحْمَتِهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذا سَمِعَ بُكَاءَ طِفْلٍ أسْرَعَ فِي الصلاةِ حَتَّى تُسرِعَ أُمُّه إلَيْه.

٤ ـ **الرَّحمةُ بالأَيْتَام** : الأيْتَام هُمْ أحْوَجُ فئةٍ فِي المُجتَمعِ إِلى الرَّحَمَة بِهِمْ، والتَّقَرُّبِ بِالخيرِ إلَيهِمْ؛ ولذلك قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى: ٩].

وقَالَ ﷺ: " أَنَا وكَافِلُ اليتيمِ كَهاتَينِ فِي الجنَّةِ (وَأَشَارَ بِإصبعيْهِ السبَّابَة والوُسْطَى) " [البخاري].

٥ ـ **الرَّحمةُ بِالخَدَمَ والعَبِيدِ** : لَيْسَ مِنَ الإِسْلام أنْ يُسيءَ المَرءُ مُعَامَلَةَ الخَدَم، بَلْ أَتَى الإِسْلاَمُ دَاعِيًا إِلى الرَّحَمَةِ بِهِمْ وَحُسْنِ مُعَامَلَتهم. وقَدْ رَأى رَسُولُ الله ﷺ أَبَا مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيَّ يَضْرِبُ خَادِمَهُ فَقَالَ لَهُ: " اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أنَّ الله أَقْدرُ عليكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الغُلامِ " [مُسْلِم].

٦ ـ **الرَّحمةُ بِمَنْ عَاهَدْتَ مِنَ الأَعْدَاء** : يَضْرِبُ الإِسْلاَمُ



أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي مُعَامَلَةِ الأَعْداءِ طَالمَا أنَّ هُنَاكَ مَوَاثِيقَ وَعُهُودًا بِينَنا وبَيْنَهُمْ.

وَعِنْدَ فَتْحِ مكَّةَ أَحْسَنَ الرَّسُولُ ﷺ مُعَامَلَةَ كُفَّارِهَا، فَعَفَا عَنْهُم قَائِلاً: " اذْهَبُواْ فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء " [ابن إسحاق].

* وهُنَاكَ عَوَامِلُ تُكْثِرُ مِنْ رَحْمَةِ الإنْسَانِ بالنَّاسِ، مِنْهَا:

١ ـ الإِيْمانُ بِاللهِ وَعَدَمُ الإِشْرَاكِ بِهِ: إِنَّ الشِّرْكَ بِاللهِ يُورِّثُ الْقَلْبَ غِلْظَةً وقَسْوَةً، فَالْمُشْرِكُ بِاللهِ لاَ يَرْحَمُ نَفْسَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ رَحِيمًا بِغَيْرِهِ؟!

وَمَنْ كَانَ مُشرِكًا قَاسِيَ القَلْبِ يُبدِّلُ اللهُ قَسْوَتَهُ رَحْمَةً وَعَطْفًا إِذَا مَا تَابَ إِلَيْهِ وآمنَ بِهِ.

٢ ـ بِرُّ الوَالِدَيْن: لَقَدْ جَعَلَ اللهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ بِرَّ الوَالِدَينِ وطاعَتهما مِنْ طَاعَتِه، فقَرَنَ بينَ الإحسَانِ إِلَى الوالِدَيْنِ وبَيْنَ عِبَادَتِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٣ ـ القُدْوَةُ: إِنَّ المُسْلِمَ لاَ يَفُوتُهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِالرَّسُولِ وَصَحابَتِهِ الكِرَامِ، فَهُوَ ﷺ قُدْوَتُنا فِي الرَّحْمَةِ الَّتِي أَرْسلَ

لِلنَّاسِ بِهَا. يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وَيَصِفُهُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ قائلاً: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٤ ـ تَذَكُّرُ قُدْرَةِ اللهِ: اللهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ هُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبادِه، إلاَّ أنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبهُ، فَقَدْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَة. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِه الرُّحَمَاء. يَقُولُ ﷺ: "إِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِه الرُّحَمَاء" [البُخاري].

٥ ـ الصَّوْمُ: لَقَدْ شَرَعَ اللهُ الصَّومَ تَهْذِيبًا لِنَفْسِ المُؤْمِن، حيثُ يَشْعُرُ الصَّائِمُ بِجُوعِ الفَقِيرِ وعَطَشِهِ، فَيَلِينُ قَلْبُه لَهُ، ويَرْحَمُهُ، ولَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ وَصَحَابَتهُ كَثِيري الصَّومِ، فَلاَنَتْ قُلُوبُهُم واتَّصَفُواْ بِالرَّحْمَةِ.

٦ ـ التَّوَاضُعُ: مِنْ خُلُق المُسْلِمِ أَنْ يكُونَ مُتَواضِعًا، فَلاَ يَسْمَحُ للتَّكَبُّرِ أَنْ يَتَسَرَّبَ إلىَ نَفْسِه، إيْمَانًا مِنْهُ بِأَنَّ الكِبْرِيَاءَ للهِ وَحْدَهَ. يَقُولُ ﷺ: " لَنْ يَدْخُلَ الجنَّةَ شَيءٌ مَنَ الكِبْرِ " [أحمد].

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُنا آيَةً فِي التَّوَاضُعِ، فَهُوَ القَائِلُ: " لاَ

تُعظِّموني كَمَا تُعَظِّمُ الأعَاجِمُ مُلوكَها، إنمَّا أنَا ابنُ امْرَأةٍ كَانَـتْ تَأكُلُ القَدِيْدَ (اللَّحم الجَافَّ) بِمكَّةَ " [ابنُ ماجه].

٧ ـ **قِراءةُ القُرْآن**: لَقَدْ أَنزَلَ اللهُ كِتَابَهُ نُوراً وَهُدًى ورَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِي تِلاوَتِه وتَدبُّرِ آيَاتِهِ شَفَاءً لِلْقُلوبِ.

يَقُولُ ربُّنا فِي كِتَابهِ العزيـز: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

كَمَا يَقُولُ ـ عَزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٨ ـ **التَّسَامُحُ والصَّبرُ**: لَيْسَ هُنَاكَ أدلُّ عَلَى رَحْمةِ الْمَـرْءِ مِنْ تَسَامُحِهِ مَعَ مَنْ أسَاءَ إِلَيهِ، وَعبَّرَ القُـرآنُ عـنْ هَـذَا بِقَوْلِـهِ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [فُصِّلَت: ٣٤].

وَعبَّر الشَّاعرُ عَنِ التَّسامُحِ بِقَوْلِهِ:

كُنْ كالنَّخيلِ عَـن الأحْقَـادِ مُرْتَفِعـاً

يُرْمَى بِصَخْرٍ فَيُلْقِـي أطْيَـبَ الثَّمَـرِ

* * *

ثِمَارُ الرَّحْمَةِ بالنَّاسِ

١ ـ **وَحْدَةُ المُجْتَمَعِ وَقُوَّتُهُ**: المُجْتَمعُ الذي يَتَخَلَّقُ أَفْرَادُهُ بالرَّحْمَةِ يكُونُ قويًا مُتَّحِدًا، فَالمُجْتَمعُ الَّذي يَعْطفُ كبِيرُهُ عَلَى صَغِيرِهِ، وَغَنيُّهُ عَلَى فَقيرِهِ يكُونُ قَادِرًا بـأَفْرَادِهِ عَلَـى التَّصَـدِّي للشَّدَائِدِ وَمُوَاجهَةِ المِحَنِ.

٢ ـ **ثَوَابُ الجنَّةِ فِي الآخِرَةِ**: يُدخِلُ اللهُ تعالَى عَبْدَه الذي يَرْحَمُ النَّاسَ جَنَّاتِ الخُلدِ بنعيمِها المُقِيم. فقَدْ أعْطَى الله تَعَالَى أَحَدَ عِبَادِه مَالاً وَفِيرًا فَقَالَ لَهُ: " مَاذَا عَملْتَ فِي الدُّنْيا؟ فَقَـالَ: يَاربِّ، آتيتَنِي مَالاً فَكُنْتُ أُبَايعُ النَّاسَ، وكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَـوَازُ، فَكُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى المُوسِرِ، وأُنْظِرُ المُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنكَ، تَجَـاوَزُوا عَنْ عَبْدِي " [مُسْلم].

وَهكَذَا، فَقَدْ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ جَزَاءَ رَحْمَتِهِ بِالنَّاس.

كُنْ رَحيمًا بالحيوَانِ والطَّير

تَشْمَلُ رَحْمةُ المُسْلِمِ كَافَّـةَ مَخْلُوقَـاتِ الله، فَالرَّحمـةُ لاَ تَكُونُ فِي التعَامُلِ مَع البَشَرِ وَحـدَهُم، بَـلْ تَمْتَـدُّ إِلىَ الحَيَـوانِ والطَّيْرِ، وَيَنَالُ المُسْلِمُ بذَلِكَ خَيْرًا كَثِيرًا.

١ - **فِي البَهَائِمِ أَجْرٌ** : ذَاتَ يَـوْمٍ سَـأَلَ سُـرَاقَةُ بـنُ مَالِـكٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائلاً: " إنَّ لَنَا فِي البَهَائمِ لأجرًا يَـا رَسُـولَ الله؟ فَأَجَابَـهُ ﷺ بِقَوْلِـهِ: " نَعَـمْ، فِـي كـلِّ ذَاتِ كَبـدٍ رَطْبَـةٍ أجـرٌ " [البخاري].

٢ - **رَحْمَةُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** : اقْتَدَى الصَّحَابَةُ بِالرَّسُولِ الكَرِيمِ فِي الرَّحْمَة بِالحيوَانِ وَالطَّيرِ، حَتَى إنَّ عُمَرَ - رَضِـي الله عَنْهُ - يَقُولُ: "لَيْـتَ أُمَّ عُمرَ لم تَلدْ عُمَر، فَلَوْ أنَّ بَغْلَـةً بِـالْعِراقِ تَعَثرَّتْ لَحَاسَبَنِي اللهُ عَلَيْها، لِمَ لَمْ تُمَهِّدْ لَها الطريقَ يَا عُمَـر"، وَأَخَذَ يبكِي حَتَّى ابْتَلّتْ لِحْيَتُهُ مِنَ الدُّمُوعِ

*** وهُنَاكَ عَوامِلُ تُكْثِرُ مِنْ رَحْمَةِ الإنْسَانِ بِالْحَيَوانِ، مِنْهَا :**

١ - **تَقْوَى اللّه** : لكَى يَتكَوَّنَ خُلُقُ الرَّحْمَةِ بَالْحَيَوانِ عِنْـدَ المُسْلِمِ فَلاَبُدَّ وَأَنْ يَتَّقِي اللَّه فِى هَـذه المَخْلُوقَـات، وَأَنْ يَعْلَـمَ أنّه بِذَلِكَ يُرْضِي اللَّهَ عَنْهُ، فَاللَّـهُ رَحِـيمٌ يُحِـبُّ عَبْـدَه الـرَّحيمَ بِمَخْلُوقَاته.

٢ - **الْخَوْفُ مِنَ اللّه** : إذَا خَافَ المُسْلِمُ عقَابَ اللَّه، فَلَنْ تَجِدَهُ يَقْسُو عَلَى حَيَوانٍ أَوْ طَيْرٍ، فَهَذه المَخْلُوقَاتُ تُسـبِّحُ بِحمْـدِ ربِّها، وَقَدْ خَلَقَها اللَّهُ وَسَخَّرَهَا لَنَا لِيكْتَمِلَ إِعْمَارُ الكَوْنِ.

٣ ـ **الاقْتِداءُ بِالرّسُوْلِ والصَّحَابةِ** : فلاَ يكْتَمِلُ إِيْمانُ المَرءِ إلاَّ إذا اقْتَدى بأخلاق الرَّسُولِ ﷺ، وكَان مِنْ خُلُقِه ﷺ الرَّحمةُ بِالحيْوانِ والطَّيرِ.

ثِمَارُ الرَّحْمَةِ بالحَيَوانِ والطَّيْرِ

١ ـ **رِقَّةُ القَلْبِ وَرَهَافَةُ الحِسِّ** : المَرْءُ الَّذي يَرْحَمُ الحَيَوانَ، ويَرفُقُ بِهِ، يكُونُ رَقيقَ الْقَلْبِ، عَطُوفاً، مُرْهَفَ الحِسِّ، وَيَجْنِي مِنْ ذَلِكَ ثَمرَةَ مَحَبَّةِ النَّاسِ وَتَقْدِيرهِم لَهُ.

٢ ـ **الاسْتِفَادَةُ مِنْهَا بِقَدْرٍ أَكْبَر** : إذاَ مَا تَخَلَّقَ المَرْءُ بالرَّحمَةِ بِما يُوجَدُ حوْلَهُ مِنْ حَيَوانٍ وَطَيرٍ، أمْكَنَهُ أنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهَا اسْتِفَادَةً عَظِيمَةً، حَيْثُ لاَ تُصابُ بِالتَّعبِ السَّرِيعِ أو الإِرْهَاقِ الشّدِيدِ.

٣ ـ **ثَوَابُ الجنَّةِ فِي الآخِرَةِ** : يُحْسِنُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَوْمَ القِيَامَةِ إلى عَبْدِه الرَّحِيمِ بِالْحَيَوَانِ والطَّيرِ، فَيَهْنأُ بالجَنَّةِ، وَذَلكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ. يَقُولُ رَسُولُ اللَّه ﷺ: " لاَ يَغرِسُ رَجُلٌ مُسْلمٌ غرْسًا، وَلاَ زَرْعًا، فيَأكُل مِنْهُ سَبْعٌ أَوْ طَيْرٌ أَوْ شَيءٌ إلاَّ وكَانَ لَهُ فِيْهِ أجْرٌ" [مُسْلِم].

لاَ تَكُنْ قَاسِيًا

القَسْوَةُ ضِدُّ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ غِلْظَةُ القَلْبِ، وَعَدَمُ اتِّبَاعِ الحَقِّ، والتَّهَاوُنُ بِالآخَرِينَ، والعَمَلُ عَلَى إِيْذائِهِم.

والقَسْوَةُ خُلُقٌ ذَمِيمٌ، يكْرَهُهُ اللَّهُ ورَسُولهُ، ويَكُونُ عِقَابُ صَاحِبِهِ شَدِيدًا، لِقسوَتِهِ بِمَخْلُوقَاتِ اللهِ، وإِيْذَائِهِ لَهُم.

ومِنْ صُوَرِ القَسْوَةِ:

١ ـ **القَلْبُ القَاسِي**: أَنْ يُعرِضَ المَرْءُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، ويَحِيدَ عَنْ مَنْهجِهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

٢ ـ **الإِصْرَارُ عَلَى الكُفْرِ**: المُصِرُّ عَلَى الكُفْرِ يكُون قَاسِيًا طَرِيدًا مِنْ رَحْمَةِ الله، فَهُوَ لاَ يَقْبَلُ أَنْ يَسْمَعَ إِلي صَوْتِ الحقِ ويُصِرُّ عَلَى ضلالهِ. يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢ ـ ٤٣].

٣ ـ **نَقْضُ العَهْدِ والمِيثَاقِ**: إِذَا خَانَ المَرْءُ مَنْ عَاهَدَ مِنَ النَّاسِ ونَقَضَ مِيثَاقَهُ بِغَيرِ وَجْهِ حَقٍّ، يَكُونُ قَاسِيًا، ويَتَجَنَّبُ النَّاسُ

مُعَامَلتَهُ، لأنَّـهُ لَـيْسَ أَهْـلاً لَلثِّقَـةِ. يَقُـول تعَـالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

٤ ـ **لاَ رَحْمَةَ لِلْقَاسِي** : مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ، لاَ يَسْتَحِقُّ رَحْمَةَ الله تَعَالَى بِهِ، حَيْثُ يكُونُ جَزَاءُهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِه. يَقُـولُ ﷺ: "لاَ يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ" [البُخاري].

٥ ـ **فُضُولُ الكَلاَمِ** : المُسْلِمُ يُزيِّنُ كَلاَمَهُ دَائِمًا بِذِكْرِ الله، ويَحْفَظُ لِسَانَه؛ فَهُو يُدْرِكُ مَتَى يَتكَلَّمُ، وَمَتَى يُنصتُ. قَالَ ﷺ: "إنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ" [الترمذي].

٦ ـ **الكَرَاهِيَةُ مِنَ النَّاسِ** : لاَ تَجِدُ جَبَّارًا قَاسِيًا إلا وَقَدْ نَالَ كَرَاهِيَةَ النَّاسِ وبُغْضَهُم لَهُ.

٧ ـ **البُعْدُ مِنَ اللهِ** : فاللهُ يُعَاقِبُ القَاسِي ويُنْزِلُ بِهِ عَذَابَـهَ؛ حَيْثُ إنَّهُ لَمْ يَرْعَ حَقَّ اللهِ فِي عِبَادِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ. قَـالَ ﷺ: " إنَّ القَلْبَ القَاسِي بَعِيدٌ مِنَ اللهِ" [مالك].

إعْرِف نَفْسَك.. هَلْ أنتَ رَحيمٌ؟

ماذا تفعلْ لو:

١ ـ كُنْتَ مُتَأَخِّرًا عَنْ العَمَلِ ورأيتَ أعْمَى يُريدُ عُبُورَ الطَّرِيقِ؟

٢ ـ وَجَدْتَ صَدِيقًا لَكَ يَحْبِسُ طُيورًا فِي أَقْفَاصٍ بِمَنْزِلِهِ للزِّينَةِ؟

٣ ـ عَلِمْتَ أَنَّ طفْلاً يَتيمًا لاَ يَسْتَطِيعُ شِرَاءَ ثِيَابٍ جَدِيدَةٍ لِيَحتَفِلَ بِالْعِيدِ مَعَ أَقْرَانِهِ مِنَ الأَطفَالِ؟

٤ ـ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدَ أَقَارِبِكِ لاَ يَتْلُو القُرآنَ وَلاَ يَتَدَبَّرُ مَعَانيه؟

٥ ـ صَعَدَ أَحَدُ كِبَارِ السِّنِ الأُتوبِيْسَ وَأَنْتَ جَالِسٌ وَلاَ يُوْجَدُ مقْعدٌ شَاغِرٌ لَهُ؟

٦ ـ عَاهَدْتَ أَحَدَ الكُفَّارِ عَلَى السَّلام والأَمْنِ؟

٧ ـ كَانَ لَدَيْكَ خَادِمٌ بِمَنزلِكَ، وَسَقَطَ مِنْهُ كُوبُ الشَّايِ عَلَى ثِيَابِكَ وَهُو يُقَدِّمُهُ لَكَ؟

٨ ـ سَمِعْتَ إِنْسَانًا يَشْكُو قِلَّةَ الرِّزْقِ وَضِيْقَ العَيْشِ؟

٩ ـ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدَ جِيْرَانِكَ يَقْسُو عَلَى بَنَاتِهِ فِي حِينِ يُحَسِنُ مُعَامَلَةَ أَبْنَائِهِ الذُّكُورِ؟

١٠ ـ مكَّنَكَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ شَخْصٍ كَانَ يؤذِيكَ وَيَقْسُو عَلَيْكَ؟

* * *

سلسلة كن

١ كن طائعاً
٢ كن عفواً
٣ كن كريماً
٤ كن متعاوناً
٥ كن وفياً
٦ كن تائباً
٧ كن راضياً
٨ كن زاهداً
٩ كن صابراً
١٠ كن مشاوراً
١١ كن محباً
١٢ كن متواضعاً
١٣ كن مؤثراً
١٤ كن عادلاً
١٥ كن أميناً
١٦ كن عفيفاً
١٧ كن نصوحاً
١٨ كن صادقاً
١٩ كن كتوماً
٢٠ كن متأنياً
٢١ كن مخلصاً
٢٢ كن حليماً
٢٣ كن ورعاً
٢٤ كن رفيقاً
٢٥ كن متوكلاً
٢٦ كن مستقيماً
٢٧ كن معتدلاً
٢٨ كن شاكراً
٢٩ كن عزيزاً
٣٠ كن متفائلاً
٣١ كن مضحياً
٣٢ كن باراً
٣٣ كن حيياً
٣٤ كن شجاعاً